# لماذا يعارضونها بصراخ انفعالي تحريضي ؟ !!

**في الثالث عشر من فبراير 2008م الجاري أقر مجلس وزراء الإعلام العرب وثيقة بعنوان ((مبادئ تنظيم البث الفضائي الإذاعي والتلفزيوني في المنطقة العربية)). وفور الإعلان عن هذه الوثيقة انبرت قناة ((الجزيرة)) التي يديرها الإخوان المسلمون ومن خلفها بعض النخب التقليدية التي تتصدر حركات المعارضة في أكثر من بلدٍ عربي لإدانة هذه الوثيقة ، والتحريض ضدها ، والسعي إلى تقديمها في صورة ((مشروع عربي رسمي لقمع الحريات ومصادرة المعرفة)).**

أحمد الحبيشي

في الاتجاه ذاته انضمت أصوات معارضة في اليمن إلى جوقة الردح والقدح التي نظمتها قناة ((الجزيرة))، وصدرت عن بعض الشخصيات المعارضة في اليمن هجمات بكل الاتجاهات ضد هذه الوثيقة . ولم تكتفِ هذه الأصوات المعارضة بإدانة هذه الوثيقة، بل أدّتها تجاوزت ذلك إلى حد اتهام الحكومة اليمنية ووزير الإعلام الأستاذ حسن اللوزي بإعداد وتقديم هذه الوثيقة ( الخطيرة ) إلى الدورة الأخيرة لمجلس وزراء الإعلام العرب، في سياق مخطط تآمري تستهدف من خلاله حكومة المؤتمر الشعبي العام قمع الحريات وإرهاب حملة الفكر والرأي ،والتراجع عن الديمقراطية والعودة إلى الشمولية !؟

الثابت أنّ حركات المعارضة في العالم العربي كرست في هجومها على هذه الوثيقة نهجها النخبوي الفوقي الذي يعتمد سياسة لا تحترم حق الرأي العام في المعرفة والاختيار الحر بعيداً عن أي شكل من أشكال الوصاية على العقل وتزييف الوعي وتشويه الحقائق، حيث لم تقدمّ الأصوات المعارضة لوثيقة مبادئ تنظيم البث الفضائي الإذاعي والتلفزيوني في المنطقة العربية أية معلومات حول هذه الوثيقة، ولم تبنِ هجومها المعادي لها على قراءة موضوعية ونقد تحليلي لمضمونها.

يحلو للنخب العربية المعارضة ــ ومعظمها بقايا وامتدادات لأحزاب وحركات عقائدية وشمولية تمتلك رصيداً ضخماً من الممارسات الاستبدادية القائمة على الإلغاء والإقصاء وقمع ومصادرة الحريات ــ أن تقدم نفسها في صورة المدافع (الأمين) عن الديمقراطية، والداعم (الحقيقي) لبرامج نشر الديمقراطية التي تسوقها وتمولها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي في الشرق الأوسط.

والحال أنّ وثيقة مبادئ تنظيم البث الفضائي الإذاعي والتلفزيوني في المنطقة العربية لا تتعارض مع ثوابت الخطاب السياسي لمختلف الحركات السياسية المعارضة في العالم العربي ، وبضمنها الحركات الإسلامية التي اشتهرت من خلال رموزها في المحافل الدينية والبرلمانية العربية بالدفاع عن قيم الفضيلة والقيم والأخلاق، واستخدام هذه القيم غطاءً لتسويق مشاريع ظلامية تنتهك حقوق المرأة والطفل، وتعادي الفنون والموسيقى والغِناء، وتستهدف تنميط وعي وسلوك الناس الاجتماعي وفق قوالب مغلقة وجامدة وجاهزة، وتدعو الى تكريس نمط للعيش يقوم على الإقامة الدائمة في الماضي ، وتكفير المنجزات والقيم المادية والروحية للحضارة الصناعية الحديثة، واتهام كل من يتعامل معها بالتشبه بالكفار، ومخالفة الدين ، والخروج عن عقيدة الولاء والبراء بما هي الآيدلوجيا الجديدة للإسلام السياسي .

مما له دلالة أنْ يصل تهافت كثير من النخب المعارضة في اليمن والعالم العربي على الانخراط تحت عباءة برامج نشر الديمقراطية التي تمولها وتشرف عليها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي من خلال منظمات غير حكومية، إلى حد المطالبة بدمج التحولات الديمقراطية الناشئة في العالم العربي بالمنظومة القيمية للديمقراطية في البلدان الصناعية المتطورة، والمراهنة على تدخل (الغرب الديمقراطي) من خلال حكوماته ومنظماته غير الحكومية في ممارسة ضغوط على الدول العربية التي تتبع سياسات مخالفة لبرامج وأهداف ومشاريع النخب العربية المعارضة، بذريعة الدفاع عن الديمقراطية وحماية الحريات وحقوق الإنسان.

وبوسع كل من تابع الهجمة المضادة للوثيقة التي صدرت عن مجلس وزراء الإعلام العرب أن يلاحظ تناقضاً مثيراً للدهشة في موقف النخب العربية المعارضة ضد هذه الوثيقة، لجهة ميولها لاستخدام المطرقة الديمقراطية الأجنبية في الغرب ضد وثيقة مبادئ تنظيم البث الفضائي والتلفزيوني والإذاعي في المنطقة العربية، متجاهلة أنّ قوانين حكومات الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي تمنع البث الفضائي المفتوح، وتنظم الخدمة الإعلامية التلفزيونية من خلال تقنيات مغلقة ومشفرة، وتضع أطراً أخلاقية وسياسية للبرامج الموجهة إلى المشاهدين ، إلى حد عدم السماح ببث أية قنوات فضائية تبث برامج معادية للسامية ومهددة للسلم الدولي على نحو ما حدث لقناة (المنار) التابعة (لحزب الله) والممنوعة من البث في دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.

لا أبالغ حين أقول إنّ القراءة المعمقة لهذه الوثيقة من شأنها أن تساعد على تحديد موقف واعٍ منها، بعيداً عن أساليب الإثارة والتحريض والتهييج التي تضع صاحبها والمتأثرّ به رهائن في منطقة اللا وعي، وما يترتب على ذلك من نتائج سلبية تكرس اغتراب المعارضات العربية عن الواقع، وعجزها المزمن عن إعادة اكتشافه وفقدان القدرة على تغييره.

تنطلق وثيقة مبادئ تنظيم البث الفضائي التلفزيوني والإذاعي في المنطقة العربية من محددات واضحة تستهدف تفاعل الإعلام العربي مع عصرنا باعتباران المنطقة العربية جزء لا يتجزأ من العالم، والحرص على تعزيز التفاهم والحوار والتواصل بين الثقافات، والاستهداء بالمواثيق الدولية ذات الصلة، استناداً إلى مقتضيات التطور النوعي والتقدم التقني المتنامي في مجال الإعلام والاتصال منذ دخوله عصر الفضاء وتراجع تأثير الحدود الجغرافية، وبما يسهم في مواكبة التقدم المتسارع في تقنيات الإعلام وأساليبه وأدواته، وصولا إلى تحقيق التوازن والتكافؤ بين قدرات العمل الإعلامي التقنية والأدائية في ظل تنامي الميول التنافسية إقليمياً ودولياً.

تأسيساً على هذا المنظور أكدت الوثيقة التي ترفضها النخب اليمنية والعربية المعارضة على شفافية وعلنية المعلومات ، وحماية حق الجمهور في الحصول على المعرفة ، وحماية التنافس الحر في مجال خدمات البث والحفاظ على حقوق ومصالح منتجي خدمات البث وتوفير الخدمة الشاملة للجمهور.

وعلى النقيض من الصراخ الذي صدر عن النخب المعارضة لهذه الوثيقة، وهو صراخ انفعالي تحريضي بامتياز، لم يُقدِّم المعارضون اليمنيون والعرب ما يدعمون به صحة موقفهم الرافض، سوى عبارات استهلاكية سطحية من نوع ((قمع الحريات والتراجع عن الديمقراطية والعودة الى الشمولية والاستبداد ومصادرة المعرفة)) بعيدا عن أية قراءة موضوعية للوثيقة التي تؤكد على مبادئ أساسية ذات صلة بقيم الحرية والديمقراطية والمعرفة التي يتباكى عليها المعارضون لتبرير موقفهم المعارض لهذه الوثيقة، ومن أبرز هذه المبادئ التي لا يتسع الحيز لسردها تفصيلاً تأكيد الالتزام باحترام حرية التعبير وحرية استقبال البث وإعادة البث وضمان حق المواطن العربي في متابعة الأحداث الوطنية والإقليمية والدولية وخصوصاً الرياضية منها، التي تشارك فيها فرق أو عناصر وطنية، وذلك عبر إشارة مفتوحة وغير مشفرة.. أيا كان مالك حقوق هذه الأحداث حصرية كانت أو غير حصرية.

لا ريب في أنّ الحريات التي تتظاهر النخب المعارضة لهذه الوثيقة بالدفاع عنها مضمونة في مبادئها الأساسية ، الأمر الذي يدحض الادعاء بأنّ هذه الوثيقة تستهدف مصادرة هذه الحريات على نحو ما عرضت سابقا. بيد أنّ الصراخ الذي تميز به الخطاب السياسي المعارض لهذه الوثيقة بشأن (( القيود التي تفرضها على الحريات الإعلامية)) سرعان ما تنكشف أهدافه ودوافعه الحقيقية حين نقرأ الوثيقة جيداً، وخصوصاً الجزء المتعلق بهذه ( القيود ) المزعومة وهي عبارة عن منظومة من الضوابط المتعلقة بمصنفات العمل الإعلامي التي يتم بثها، وفي مقدمتها تأكيد الوثيقة على ضرورة احترام كرامة الإنسان وحقوق الآخر، واحترام خصوصية الأفراد والامتناع عن انتهاكها بأي صورةٍ من الصور والامتناع عن التحريض على الكراهية أو التمييز القائم على أساس الأصل العرقي أو النوع الاجتماعي أو اللون أو الدين، والامتناع عن بث كل شكل من أشكال التحريض على العنف والإرهاب مع التفريق بينه وبين الحق في مقاومة الاحتلال، والامتناع عن وصف الجرائم بكافة أشكالها وصورها بطريقة تغري بارتكابها أو تضفي البطولة على الجريمة ومرتكبيها أو تبرير دوافعها، ومراعاة أسلوب الحوار وآدابه واحترام حق الآخر في الرد ، وضمان حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة في الحصول على ما يناسبهم من الخدمات الإعلامية والمعرفية تعزيزاً لاندماجهم في مجتمعاتهم، وحماية الأطفال والناشئة من كل ما يمكن أن يؤثر سلباً على قوامهم البدني والذهني والأخلاقي أو يحرضهم على فساد الأخلاق والالتزام بالصدق والموضوعية في ما يبثه الإعلام من معلومات ووقائع وأخبار.، والامتناع عن بث ما يسيء إلى الذات الإلهية والأديان السماوية والأنبياء والرسل والمذاهب والرموز الدينية الخاصة بكل مذهب وفئة، ومنع بث وبرمجة المواد التي تحتوي على مشاهد فاضحة بما في ذلك تقييد بث المواد التي تشجع على التدخين وتعاطي المشروبات الكحولية.

ثمة قيود أخرى تضمنتها الوثيقة، ومعمول بها في كل الدول المتحضرة وهو ما عجز صراخ المعارضين لهذه القيود عن إقناعنا بصواب موقفهم ورفع أصواتنا الى جانبهم ضد الحكومة اليمنية والحكومات العربية التي تخطط لقمع الحريات الاعلامية ومصادرة الحق في المعرفة والحصول على المعلومات . ويمكن تلخيص هذه القيود ببعض المعايير والضوابط والأنماط التي تؤكد الوثيقة من خلالها على الحق في إصدارها بموجب تشريعات داخلية للدولة المعنية بإصدار تراخيص البث الفضائي من أو إلى داخل أراضيها ، ومنها وضع قيود زمنية على البرامج والمصنفات التي يتم بثها ويكون محتواها لا يتناسب مع سن الأطفال، بحيث يتم عرضها في الأوقات التي لا يكون فيها الأطفال من ضمن المشاهدين . بما في ذلك الالتزام بالبيان الواضح قبل بدء البرنامج عن نوع المصنف والفئة العمرية غير المسموح بمشاهدته، أو التي يكون من غير المناسب لها مشاهدته أو التي يجب أن تكون مشاهدتها له تحت رقابة عائلية.

يبقى القول إنني لم أفكر بالبحث عن وثيقة مبادئ تنظيم البث الفضائي التلفزيوني والإذاعي التي أقرها مجلس وزراء الاعلام العرب وقراءتها ، إلا بعد أن ارتفع ضجيج وصراخ النخب التقليدية المعارضة في اليمن والعالم العربي ضد هذه الوثيقة التي جرى تصويرها للناس بأنها خطر داهم يهدد الحريات الاعلامية وينذر بكارثة مدمرة ستصيب العملية الديمقراطية في اليمن والعالم العربي . وعندما قرأتها تساءلت عن الأسباب التي تدفع هذه النخب الى معارضة مبادئ تنظيم البث الفضائي التلفزيوني والاذاعي ، على الرغم من انها لا تختلف عن مثيلاتها في الغرب الديمقراطي ، مع الأخذ بعين الاعتبار ان الأجندات العقائدية الجاهزة للحركات الاسلامية ، وهي أكبر المعارضات العربية يمكن أن تفرض على العقل العربي وصاية قاسية وصارمة على العقل والحرية في حال وصولها الى السلطة ، ليس أقلها تحريم الغناء والموسيقى ، على نحو ما فعلوه بالناس قبل وصولهم الى السلطة .!!

ربما يكون بعض معارضي الوثيقة من غير الاسلاميين لم يقرأوها بل سمعوا عنها على طريقة ( شاهد ماشافش حاجة ) .. وربما يكون لبعض الاسلاميين الحق في معارضة الوثيقة لجهة العديد من الضوابط التي تتعلق بقيم مدنية وانسانية تتعلق بحقوق المرأة والطفل في الحصول على المعرفة ، والامتناع عن التحريض على الكراهية أو التمييز القائم على أساس الأصل العرقي أو النوع الاجتماعي أو اللون أو الدين، والامتناع عن بث كل شكل من أشكال التحريض على العنف والإرهاب والامتناع عن وصف الجرائم بكافة أشكالها وصورها بطريقة تغري بارتكابها أو تضفي البطولة على الجريمة ومرتكبيها أو تبرير دوافعها، والامتناع عن بث ما يسيء إلى الذات الإلهية والأديان السماوية والأنبياء والرسل والمذاهب والرموز الدينية الخاصة بكل مذهب وفئة على نحو ما تضمنته وثيقة مبادئ تنظيم البث الفضائي التلفزيوني والإذاعي التي تناولها المعارضون العرب بصراخ وعويل يشبهان ما يحدث في جلسات الزار .

عن / صحيفة ( 26 سبتمبر )

## غضون

### الحق في السكن

فيصل الصوفي

أول حق للإنسان في بلده أنه عندما يولد يسجل كمواطن ويحصل على الجنسية وعلى السكن.. بالنسبة لهذا الحق الأخير وهو حق المواطن في السكن لم توجد الحكومات اليمنية المتعاقبة أي ضمانة تشريعية أو إجرائية أو عملية تضمن أو تكفل هذا الحق لموظفيها ومواطنيها.. الجمعيات السكنية نشأت منذ عقود ومع ذلك لا توجد مدينة سكنية لأي فئة.. ولا يوجد حتى الآن بنك عقاري.. أنشأت بعض البنوك والهيئات أحياءً أو وحدات سكنية لذوي الدخل المحدود واتضح أن ذوي الدخل المحدود الذين استفادوا من هذه المساكن هم وزراء وتجار.. الأراضي التي قيل إنها مخصصة للجمعيات السكنية ولذوي الدخل المحدود وللشباب بسط عليها ضباط كبار ومشايخ كبار ونافذون آخرون.. حتى المستثمر الذي يرغب في الاستثمار العقاري تحول بفعل تأثير النافذين إلى خادم مطيع لذوي النفوذ ومالكي المليارات الذين لا يقوى غيرهم على التعامل معه.

في العاصمة وتعز وعدن وحضرموت وحجة وصعدة وصنعاء نشأت بيوت مالية كثيرة وامتلكت أموالاً هائلة نتيجة الفساد وفي مجال المقاولات، ولكن رأس المال الطفيلي هذا لم يوظف أي جزء من أرباحه لإنشاء مدينة سكنية يحصل المواطن أو الموظف على مسكن فيها بقيمة مالية معينة تدفع على أقساط سنوية أو شهرية أو يومية.. حتى حق المواطن في الحصول على مسكن بالإيجار الشهري لم تكفله الحكومة.. وقد صدر قبل فترة قانون بشأن تنظيم العلاقة بين المؤجر والمستأجر ومع ذلك لم يعمل به ولم تطبق مادة من مواده وهذا أفضل، لأن المستأجر وجد أنه من الخير له أن يخضع لشروط المؤجر العادلة بدلا من المطالبة بتطبيق القانون الجائر الذي سنه مالكو العمارات والعقارات.

مغترب يمني في أمريكا لقبه (سابحة) وظف جزءاً من أمواله في قطاع العقارات وبنى في العاصمة حتى الآن عمارتين تأوي الواحدة منها عشرين أسرة.. بإيجار مناسب وخدمة جيدة، أتحدى أن تكون الحكومة أو أي من المقاولين التابعين لها قد قدم مثل هذه الخدمة التي قدمها (سابحة) وهو رجل مغترب أو مشرد عن وطنه ومع ذلك فضل أن يخدم وطنه ويأوي المشردين.

## الولاء والبراء

# الآيديولوجيا الجديدة للإسلام السياسي

**المتابع لفكر الجماعات الاسلامية الراديكالية يرى انه حصل لها تغيير في ترتيب اولوياتها واصولها، فبعد ان كان الغالب على فكر هذه الجماعات مبدأ «الحاكمية « الذي رسخه المودودي وسيد قطب واتباعهما، نلحظ انها جعلت الاولوية في منهجها لفكرة «الولاء والبراء» مدشنة بذلك مرحلة جديدة من مراحل الحركات الاسلامية الراديكالية. استطاعت هذه الفكرة المركزية الجديدة ان تعطي زخما للحركات الاسلامية، وتنفخ الروح فيها، وتدعوها للتضامن والتحالف وترك التقاتل وذلك باسم «الولاء» وان تتوجه جهودها لمحاربة امريكا والحكومات العربية والاسلامية «الموالية» لها وذلك تحت ستار «البراء».**

سعود بن صالح السرحان

ولحاجة هذه الايديولوجيا الحركية الجديدة الى منظرين فقد استعانت بأطروحات التكفيريين واشباههم من امثال ابي محمد المقدسي صاحب كتاب «ملة ابراهيم» ويريد به الولاء والبراء، وجهيمان العتيبي صاحب كتاب «رفع الالتباس عن ملة من جعله الله اماما للناس» وهو في الولاء والبراء ايضا، وكتب ناصر الفهد من جنس «التبيان في كفر من اعان الامريكان»، وكذا كتابات ابي بصير الطرطوسي، وغيرها، ولو نظرنا الى القاعدة فإن آخر كتاب رسمي لهم هو كتاب الظواهري «الولاء والبراء عقيدة منقولة وواقع مفقود».

وعند دراسة مفهوم هذه الجماعات للولاء والبراء يمكن تلخيصه في التالي: ان الولاء والبراء من اهم اصول الدين، وانه هو ملة ابراهيم التي لا يرغب عنها الا من سفه نفسه، وان من موالاة غير المسلمين ما هو كفر يخرج عن الاسلام، ومنها ما هو كبيرة من كبائر الذنوب، ومن صور موالاة غير المسلمين عندهم: محبتهم واكرامهم وتهنئتهم في مناسباتهم السعيدة وتعزيتهم في مناسباتهم الحزينة والعمل في خدمتهم والاستعانة بهم والاشادة بما وصلوا اليه من تقدم ومدنية والتأريخ بتأريخهم. ويشترطون اظهار العداوة والبغضاء لغير المسلمين. وسأناقشهم في اهم افكارهم وأوضح خروجهم عن الفقه الصحيح للاسلام:

أمرنا الله، عز وجل، بموالاة المؤمنين لأجل ايمانهم ونهانا عن موالاة الكافرين لكفرهم او العاصين لمعصيتهم، فهذه هي الموالاة المحرمة باجماع العلماء. وذكر العلماء ان «المخالطة والمنافعة وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق واكرام الضيف ونحو ذلك فيستحب بذله لجميع الخلق، الا ما كان يقتضي مفسدة كالذلة فلا يبذل للعدو في حال الحرب».

والمسائل المتعلقة بالولاء والبراء يبحثها العلماء في كتب الفقه والآداب وأول من بالغ في مسألة الولاء والبراء هم الخوارج والشيعة، فذكروها في مباحث العقيدة، فقد ذهب البيهسية من الخوارج، وهم من اشدهم غلوا، الى ان الرجل يكون مسلما اذا شهد ان لا اله الا الله، وان محمدا عبده ورسوله، وتولى اولياء الله، وتبرأ من اعدائه، واقر بما جاء من عند الله جملة». وتشكل مسألة «البراءة» مرتكزا مهما في فكر الخوارج، فهي سبب لكثير من التفرق الذي اصابهم، وذلك بسبب الخلاف بينهم في «البراءة» من بعض الاشخاص، وبعض المسائل، مما ادى الى تنازعهم وتمزقهم، كما ترى ذلك في كتب الفرق وغيرها.

وبالنسبة للشيعة فيبدو انه كلما زاد التشيع غلوا زاد الاهتمام بالولاء والبراء، فالشيعة الإمامية يذكرون مسألة الولاء والبراء في كتب العقيدة، لكنهم يجعلونها من فروع مسألة الإمامة، اما الاسماعيلية الباطنية فيجعلون الولاية هي الاصل الاول في العقيدة عندهم ويجعلونها اصلا لمسألة الإمامة. ويبدو انه لهذا السبب حذر أئمة السلف من اتخاذ الولاء والبراء شعارا، فقد قال الامام احمد: «والولاية بدعة والبراءة بدعة وهم الذين يقولون: نتولى فلانا، ونتبرأ من فلان وهذا القول بدعة، فاحذروه».

ويروى عن جماعة من السلف من الصحابة والتابعين منهم: ابو سعيد الخدري والحسن البصري وابراهيم النخعي والضحاك وغيرهم انهم قالوا: الشهادة بدعة والبراءة بدعة. ونقل ابن ابي العز، ان الرافضة (ويعني الشيعة) يقولون: لا ولاء الا ببراء. المبالغة في أهمية الولاء والبراء: يزعم اتباع هذه الجماعات ان الولاء والبراء ركن التوحيد وأصله، وانه اصل دعوة الانبياء والمرسلين: وهذا زعم كاذب، فركن التوحيد وأصله هو شهادة ان لا اله الا الله، وان محمدا رسول الله، وليس ما زعم هؤلاء انه الولاء والبراء. فأصل دعوة الانبياء والمرسلين هو الدعوة الى توحيد الله، لا الى الولاء والبراء، قال تعالى: «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت».

ومعنى «واجتنبوا الطاغوت»: اجتنبوا عبادة الأوثان. وليس في الآية، ولا في غيرها من كتاب الله وسنة رسوله، ذكر ان الولاء والبراء هو اصل الدين او اصل بعثة الرسل، وأصول الايمان ستة: وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وليس منها الولاء والبراء.

والأدلة على بطلان قول المبالغين في مسألة الولاء والبراء كثيرة جدا، وسأذكر هنا دليلا واحدا فيه البيان التام باذن الله: وهو ما رواه البخاري (2691) ومسلم (1799) من حديث انس بن مالك قال: قيل للنبي، صلى الله عليه وسلم: لو اتيت عبد الله بن ابي. قال: فانطلق اليه وركب حمارا، وانطلق المسلمون يمشون معه، وهي ارض سبخة، فلما اتاه النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: اليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك. قال: فقال رجل من الانصار: والله لحمار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أطيب ريحا منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتما، قال: فغضب لكل واحد منهما اصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالايدي وبالنعال، قال: فبلغنا انها نزلت فيهم «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما». ففي هذا الحديث فوائد كثيرة، فمنها: عيادة النبي، صلى الله عليه وسلم، لرأس النفاق، ومنها: لين النبي، صلى الله عليه وسلم، مع ابن ابي وعدم غلظته عليه، مع شدة عداوته له وسوء أدبه معه، ومنها: ان من اصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من لم يرض بشتم المنافق مع سوء أدبه مع النبي، بل دافع بعضهم عنه، حتى وصل الأمر الى الضرب والقتال. ومع ذلك لم يكفِره النبي، صلى الله عليه وسلم، بحجة موالاته للمشركين على المؤمنين، ولا كفره الله، عز وجل، بل انزل فيهم قوله: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» فسماهم مؤمنين، ولو كان زعم المبالغين في الولاء والبراء صحيحا، لكفرهم الله، عز وجل، ونبيه، صلى الله عليه وسلم.

ومما يدل على ان الولاء والبراء ليس بالاهمية التي يصورها هؤلاء، من انه لا يصح الاسلام بدونه: عدم تبيين القرآن والنبي، صلى الله عليه وسلم، لأهميته، فقد كتب النبي، صلى الله عليه وسلم، للملوك، وأرسل اصحابه للبلدان والقبائل، ولم يأمرهم بالولاء والبراء، بل امرهم بتوحيد الله وترك عبادة الاوثان ولو كان لا يصح الاسلام بدون الولاء والبراء لما صح ان يؤخر النبي، صلى الله عليه وسلم، بيانه، اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. ولم يصرح رسول الله بالعداوة والبغضاء لأبي طالب لما كانوا في مكة، ولم يصرح اصحابه بالعداوة والبغضاء لقومهم. وقال تعالى عن قوم شعيب انهم قالوا له: «قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز»، أفتظن رهط شعيب يدافعون عنه وهو مصرح لهم بالعداوة والبغضاء؟ وقد اجمع المسلمون على ان من اراد الدخول في الاسلام، فإنه يُكتفى منه بالنطق بالشهادتين فقط، وانه يدخل في الاسلام على ذلك، ولم يرد في كتاب ولا سنة ولا فعل صحابي، ان من شهد الشهادتين لا يقبل ذلك منه حتى يصرح بعداوة الكفار وبغضهم. الولاء والبراء وملة ابراهيم: زعم اتباع هذه الجماعات، وغيرهم ان الموالاة والمعادة واظهار العداء والبغض للكفار هو ملة ابراهيم، التي لا يرغب عنها الا من سفه نفسه. وهذا القول غير صحيح، فملة ابراهيم هي توحيد الله عز وجل وهي الاسلام وبهذا وردت نصوص الكتاب والسنة. فمنها قوله تعالى: «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين»، و«قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين»، و«قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين». ففي هذه الآيات جميعا يظهر جليا ان ملة ابراهيم هي الاسلام: توحيد الله، عز وجل، وترك الشرك. وليس في أي آية منها ذكر الموالاة والمعاداة، فضلا عن اظهار العداوة والبغضاء، بل استفاد بعض العلماء من الآية الاخيرة (اللين والرفق) عند دعوة غير المسلمين، قال الرازي، في معنى قوله تعالى: «ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم»: «يحتمل ان يكون الامر بمتابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد، وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بأنواع كثيرة، على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن». فإن قيل: قال الله تعالى: «قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير».

فالجواب: اولا: لم يذكر في الآية ان الولاء والبراء واظهار العداوة هو ملة ابراهيم، بل غاية ما فيها انها اسوة حسنة، وشتان بين الامرين. ثانيا: ان ابراهيم لم يصرح بالعداوة والبغضاء الا بعد ان حاربه قومه وآذوه وألقوه في النار، وضيقوا على دعوته، عندئذ ظهرت العداوة والبغضاء بينهم وهذا امر صحيح، لا نختلف عليه، وهو ان الكافر المحارب للاسلام المؤذي للمسلمين، الظالم لهم، الباغي عليهم: يجب اظهار العداوة له، والارهابيون لا يفرقون بين الظالم للمسلمين، المحارب للاسلام وبين غيره من المسالمين والمعاهدين. ثالثا: يؤيد هذا المعنى للآية، وان فعل ابراهيم اسوة حسنة لمن كان في مثل حاله: سبب نزول الآيات، وهو قصة حاطب بن ابي بلتعة، المشهورة: وفيه: «فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها اهليهم واموالهم فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد صدقكم» قال عمر: يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» رواه البخاري (3007) ومسلم (2494). وفي بعض الفاظه ان حاطبا قال: «لا تعجل والله ما كفرت ولا ازددت للاسلام الا حبا.. فصدقه النبي، صلى الله عليه وسلم». وفي بعض الالفاظ ان النبي نهاهم ان يقولوا له الا خيرا، ففي هذا الحديث رد على المبالغين في الولاء والبراء، من وجوه: الوجه الأول: بيان صفة الكافر الذي امرنا ان نبدي له العداوة والبغضاء وهو المذكور في هذه الآيات، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل. ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون» (الممتحنة: 1 ـ 2). حتى قوله: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين. انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» (الممتحنة:9). فالذين امرنا ان نظهر العداوة لهم، هم من اجتمعت فيهم هذه الصفات: عداوة الله، وعداوة المؤمنين والكفر بالدين والتضييق على المسلمين وطردهم والذين لا يتورعون عن قتل المؤمنين وايذائهم بالقول والفعل، اما من لم يجمع هذه الصفات، فقد اذن الله، عز وجل، لنا ببره والإقساط اليه وهؤلاء المبالغون يجعلون وجوب اظهار العداوة والبغضاء عاما لغير المسلمين جميعا. الوجه الثاني: ان النبي لم يكفر حاطبا، فقد صدق النبي حاطبا على قوله: انه مؤمن، بل خاطبه الله، عز وجل، في أول الآيات بقوله: «يا أيها الذين آمنوا».

الوجه الثالث: ان ذنب حاطب انما كان في كتمه ارسال الرسالة لقريش، وهذه خيانة لأمير الجيش، اما مجرد ارساله لقريش فليس موالاة وهذا قول ابن الوزير (أحد علماء القرن التاسع الهجري).

صور للولاء والبراء: ذكر المبالغون في الولاء والبراء صورا غير صحيحة فمن ذلك اشتراطهم اظهار العداوة والبغضاء لكل كافر، من غير تفصيل واشتراطهم الهجرة من البلاد غير الاسلامية.. الخ. وسأرد عليهم ردا مختصرا: فقد سبق بيان من تظهر له العداوة، اما من عداه فتجوز محبته لخصلة خير فيه او لمحبة دنيوية. ومن الادلة على ذلك، قوله تعالى: «والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم»، حيث اباح الله عز وجل، نكاح الكتابية، وهي غير مسلمة، وقال تعالى عن الزوجة: «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة»، فهناك مودة بين الزوج وزوجته، حتى لو كانت غير مسلمة، ولم يأمر الله بعدم محبتها او يأمر ببغضها او باظهار العداوة لها. وقال ابن الوزير: «أجاز المشددون في الولاء والبراء ان يحب العاصي لخصلة خير فيه، ولو كافرا، كأبي طالب». فقد نقل هذا عن المشددين في الولاء والبراء، فكيف يكون قول المعتدلين او المتساهلين؟ ويوسف، عليه السلام، كان وزيرا على خزائن الارض، عند الملك الكافر، وأبوه واخوته هاجروا اليه، فهؤلاء 13 نبيا لم يصرحوا بمعاداة الكفار أو البراءة منهم. وهذا جعفر بن ابي طالب، رضي الله عنه، ومن معه من المهاجرين، لم يصرحوا بالعداوة والبغضاء للنجاشي وأهل الحبشة، بل ألانوا لهم القول، وعاملوهم بالحسنى، وجلسوا عندهم على تلك الحال ولم يهاجروا الى المدينة، مع ان الاسلام كان قويا، الا سنة 7 للهجرة. وايضا، فالنجاشي لما اسلم لم يهاجر، ولم يصرح بعداوة اهل بلده، بل اخفى دينه، وهو الملك، ومع ذلك لما مات صلى عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، صلاة الغائب. فهذه الأدلة وغيرها، تبين انه لا يشترط في صحة الايمان والاسلام الهجرة من بلاد الكفار، ولا اظهار العداوة لهم، وبغضهم. وفي هذه الاوقات نحن بأمس الحاجة الى ترسيخ مفاهيم المحبة والتسامح في العالم بدلا من مفاهيم البغض والكراهية والعنف.

مفكر إسلامي سعودي